

## اللاهوت الأخلاقي، الفصل الرابع

### الميتروبوليت فيلاريت فوزنسكي

#### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

**حول: الفضائل المسيحية. الشخصية الأخلاقية. حياة المسيحي كجهاد وعمل نسكي. ضرورة اليقظة الروحية.**

هدف حياة كل شخص هو أن يعدّ نفسه للخلاص الأبدي والطوبى. يجب أن يعيش الإنسان قديساً بلا لوم، بمعنى آخر، بحسب مشيئة الله.

كيف يمكن للمرء أن يدرك إرادة الله؟ أولاً، في ضميره الذي يُدعى صوت الله في نفس الإنسان. إذا لم يظلم الوقوع في الخطيئة نفس الإنسان، فإنه يقدر على توجيه مساره حياته بشكل معصوم وحازم من خلال إملات ضميره، والتي من خلالها يُنقل القانون الأخلاقي الداخلي. من المعروف أن التآلف عند الإنسان الخاطئ ليس في عقله وقلبه وإرادته فحسب، بل أن ضميره مظلم أيضاً؛ إذ أن حكمه وصوته فقدوا وضوحهما وقوتهما غير المشروطين. لذلك يقال عن بعض الناس أنهم بلا ضمير.

الضمير وحده، صوته الداخلي، أصبح غير كافٍ للإنسان ليعيش ويعمل وفقاً لمشيئة الله. لقد نشأت الضرورة لوجود سلطة خارجية، لقانون خارجي موحى به إلهياً. هذا النوع من الشريعة أعطاه الله للناس في شكلين: أولاً، ناموس تحضيري هو شريعة العهد القديم لموسى، وثانياً، ناموس العهد الجديد التام والكامل.

ينبغي التمييز بين جانبين: (١) الأخلاق الدينية و (٢) الطقوس الدينية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ وثقافة الأمة اليهودية. الجانب الثاني، بالطبع، قد تلاشى بالنسبة لنا نحن المسيحيين. لقد تراجعت هذه الممارسات والقوانين الشعبية والتقليدية. لكن ناموس موسى الأخلاقي الديني حافظ على قوته داخل المسيحية. هذا هو السبب في أن كل وصايا موسى العشر إلزامية للمسيحيين وسبب أن المسيحية لم تلغها. على العكس من ذلك، المسيحية علّمت الناس أن يفهموا هذه الوصايا ليس خارجياً وحرفياً، في تقليد الطاعة العمياء والعبودية والالتزام الخارجي فقط، بل هي كشفت عن معناها العميق وعلمت الفهم الكامل والكمال لهذا القانون والوفاء به. لكن بالطبع، بالنسبة لنا كمسيحيين، فإن معنى شريعة موسى ينبثق فقط من أن وصاياها الرئيسية (الوصايا العشر ووصية محبة الله والقريب) تقبلها المسيحية وتعلنها. نحن لا ترشدنا قوانين موسى التحضيرية والمؤقتة، بل قانون المسيح الكامل والأبدي.

قال القديس باسيليوس الكبير: "إذا كان من يحرق نوراً أمام نفسه في ضوء الشمس مضحكاً، فمن الأفضل أن يظل في الظل القانوني (للعهد القديم) أثناء سماع عظات العهد الجديد." إن أهم فرق بين قانون العهدين القديم والجديد هو أن العهد القديم اعتبر الأفعال الخارجية للإنسان، بينما يعتبر العهد الجديد قلب الإنسان، أي دوافعه الداخلية. في العهد القديم أخضع الإنسان نفسه لله عبداً لربه. في العهد الجديد، يسعى جاهداً ليخضع نفسه، مثل ابن لأبيه الحبيب. في الوقت الحاضر، ينظر الكثيرون إلى العهد القديم بشكل غير صحيح.

لا يرون فيه شيئاً جيداً، يبحثون فقط عن سمات وقحة وقاسية. هذا رأي خاطئ. من الضروري أن نتذكر المستوى الأولي للتطور الروحي لدى الناس في ذلك الوقت، منذ آلاف السنين. في ظل هذه الظروف من العادات المضطربة والقاسية، لم تكن قواعد ومعايير شريعة موسى، والتي تبدو قاسية بالنسبة لنا اليوم، (أي "العين بالعين ، والسن بالسن" ، إلخ) لم تكن كذلك في الواقع. لم تدمر هذه القوانين القسوة والانتقام البشريين بالطبع (لا يمكن القيام بذلك إلا عن طريق العهد الجديد)، لكنها سيطرت عليهما ووضعت حدوداً محكمة وصارمة. إلى هذا، لا ينبغي أن ننسى أن وصية محبة الله والقريب، والتي اعتبرها ربنا الأهم، قد أخذها من شريعة موسى (مرقس ١٢: ٢٩-٣١). يكتب الرسول بولس، لذلك الناموس مقدس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة (رومية ٧: ١٢).

Source: Metropolitan Philaret (Vosnesensky). Moral Theology, Chapter 3. Parish Life, December 2021. Russian Orthodox Cathedral of St. John the Baptist. 12/9/2021. <https://orthochristian.com/143333.html>